

مقاربة سوسيو-تحليلية لمفهوم المواطنة في خضم العلاقة التليدة مع العلوم الاجتماعية
Socio-analytical approach to the concept of citizenship within the ancient relationship
with social sciences

بن الطاهر حمزة^{1*}

¹جامعة- محمد بوضياف-المسيلة، (الجزائر)، hamzabousaada59@gmail.com

تاريخ النشر: 2021-06-30

تاريخ القبول: 2021-06-28

تاريخ الاستلام: 2020-11-30

ملخص:

يعد مفهوم المواطنة من المفاهيم الحديثة ارتبطت بسياقات فكرية عديدة؛ سياسية وثقافية واجتماعية، تناولها المفكرون والباحثون كجوهر وجود المجتمعات واستقرارها وعلا مدلولها في تراتبية الأهمية والضرورة لدى جل المجتمعات الحديثة، لما ارتبط بها من ظواهر جديدة وأخرى متجددة، ولأن المواطنة قيم مكتسبة لها العلاقة الكاملة بالتنشئة الاجتماعية للأفراد، أفكت العلوم الاجتماعية الدور المهم والأساس في عملية تجذرها وترسيخها وحمايتها. والورقة البحثية دراسة نظرية تسعى لإيجاد مقاربة تحليلية بين العلوم الاجتماعية والمواطنة في الجزائر، ومحاولة ربط العلاقة بين أركان الثلاث: العلوم الاجتماعية، التنشئة الاجتماعية، المواطنة. الكلمات المفتاحية: العلوم الاجتماعية؛ التنشئة الاجتماعية؛ المواطنة

Abstract:

The concept of citizenship considered among modern concepts, associated with many cultural, political, cultural and social contexts, addressed thinkers and researchers as the essence and existence of communities, stability and increased its concept in echelon importance and need of most modern societies, which has been associated with new and other renewable phenomena, and if that citizenship has acquired its relational values full socialization of individuals, the social sciences takes its role .important and fundamental in rooting and process and its consolidation and protection

The document is a theoretical study seeking to find an analytical approach between the social sciences and citizenship in Algeria, and the attempt to link the relationship between the pillars of the Trinity: the social sciences socialization citizenship.

Keywords: social sciences, socialization, citizenship

* المؤلف المراسل.

مقدمة:

لم تستقر المواطنة عند عتبة رافد علمي دون آخر كما أنها لم تختص بلون من ألوان العلم دون غيره، فتوجهت نحو مختلف العلوم في صورة اكسبها طابع الزخم المعرفي المتوافر رغم حداثة المصطلح وقربه، الأمر الذي دللت عليه الكثير من الدراسات والعلوم المتراكمة، ومنه تناولت مختلف العلوم الاجتماعية المواطنة تناولاً خاصاً كل حسب التخصص، فعُرفت في السياسة والقانون والثقافة والاجتماع وعلم النفس.

لقد عرفت المواطنة في الجزائر مراحل عديدة ومفاصل مختلفة في فترات زمنية متفاوتة، أدت إلى صياغة البعد المواطنتي في الجزائر، فمن الأمير عبد القادر، حمدان بن عثمان خوجة، الحسن بن عزور، محمود العنابي ومحمد بن أبي شنب.... وغيرهم ممن أسهم في وضع أساس من أسسها إلى غاية الثورة الجزائرية التي تبلور من خلالها الهيكل المواطنتي جغرافياً وفكرياً خالصاً اقره استفتاء الاستقلال. ومن منطلق ترسيخ المواطنة وتجذيرها في الفرد الجزائري عملت الأنظمة المتعاقبة على تفعيل آلياتها وأجهزتها من منظومات وسياسات تربية وتكوينية وعلى غرس قيمها والتمكين لها، غير أن منحنيات المواطنة عرفت اهتزازات وتغيرات وتحديات كبيرة داخلية وخارجية ارتبطت بمظاهر جليلة على القراءة والفهم كالعزوف السياسي والحرقة... الخ وضعتها مواضع الاختبار والتجريب، صار لزاماً معها العمل على مراجعة وإعادة النظر في كل المنظومات التي أثبتت قصورها، وهنا أصبح للعلوم الاجتماعية دوراً هاماً وصريحاً في تحمل هامشاً من المسؤولية في تحصين قيم المواطنة وحمايتها بعد فرزها وتقويمها.

1- ذبوع مفهوم المواطنة في الصروح الضبطية للعلوم الاجتماعية

يُعد مفهوم المواطنة Citizenship من المفاهيم الواسعة الانتشار والاستخدام بين عديد التوجهات الاجتماعية، وروافد الفكر الإنساني ليس فقط في البعد المعرفي للمصطلح بل أيضاً في غايات استخدامه والقصد المرجو من استظهاره بين الحين والآخر، إذ لم يصبح هذا المفهوم حبيس النخب المثقفة والهيكل البحثية - خاصة في البلاد العربية - بل أُقترن فيما يبدو بما تحاول من خلاله النخب الحاكمة استتجاد موروث الأمة السوسيوثقافية كحامي حصون وحدة أفراد المجتمع إزاء ما يتعرض له من هزات ونوبات واضطرابات، في دلالة جليلة لأهمية هذا المصطلح رغم جديته وبعده عن القدم والعراقة. وقبل الخوض في الزخم المعرفي لمفهوم المواطنة في مضامير العلوم الاجتماعية، سوف نحاول إلقاء الضوء على البعد المفاهيمي للمواطنة من حيث المفهوم والمعنى ودلالاته عند مختلف العلوم ذات الصلة.

لغة: المواطنة كلمة لها في اللغة العربية مأخذان مختلفان، اختلاف يفسره أساس الاشتقاق من الفعل؛ حيث لدينا الفعل وطن يطن وطناً : أي أقام به، مأخوذة في العربية من الوطن : المنزل تقيم به وهو (موطن الإنسان ومحلّه)

وطن البلد : اتخذهُ وطناً ، توطن البلد : أتخذهُ وطناً ، وجمع الوطن أوطان : منزل إقامة الإنسان ولد فيه أم لم يولد (ابن منظور، 1994، ص 113)، ولدينا أيضاً الفعل (واطن)، والمواطنة هنا مصدر للفعل واطن بمعنى شارك في المكان إقامة ومولداً (العدنان، 1989، ص 521).

أما اصطلاحاً، فالمواطنة بأبسط معانيها : هي التزامات متبادلة بين الأشخاص والدولة، فالشخص يحصل على حقوقه المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية نتيجة انتمائه لمجتمع معين، وعليه في الوقت ذاته واجبات

يتحتم عليه أداؤها(مان، 1994، ص444) وذهب البعض إلى أن المواطنة مصطلح مستحدث في اللغة العربية للتعبير عن كلمة Citizenship الانجليزية .

وتعرف الموسوعة العربية العالمية المواطنة بأنها: اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن(الموسوعة العربية العالمية، 1996، ص 144).

وتعرف دائرة المعارف البريطانية (Encyclopedia Britannica) المواطنة بأنها: علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من حقوق وواجبات في تلك الدولة(عبد الحافظ، 2008، ص44).

والأمر المُلَاحَظ للمتتبع والدارس عدم اقتصار المفهوم على جانب معين من تخصص معرفي، بل يتعداه إلى جوانب أخرى للمعرفة الاجتماعية؛ اجتماعية، نفسية، سياسية، ثقافية وقانونية، ليصبح سياق ضبط المفهوم يتحتم النزول إلى تخوم التخصصات ذات الصلة.

سياسياً:

ارتبطت المواطنة بالعلاقة القائمة بين شخص طبيعي وبين مجتمع سياسي يقدم فيه الطرف الأول من خلال هذه العلاقة الولاء ويقدم الطرف الثاني الحماية، ويحدد هذه العلاقة(الصالح، 1999، ص88). بمثابة عقد يتبادل فيه الطرفين الحقوق والواجبات، في صيغة تسمح فيه للأفراد بالتنازل عن بعض حقوقهم لصالح كيان سياسي يدينون له بفروض الطاعة والولاء بأداء واجبات يفرضها هذا الكيان وتقبل قراراته مقابل تحصلهم على الحماية وتنظيم الحياة العامة للمجتمع.

سوسولوجياً:

تعني المواطنة في بعدها السوسولوجي المعيشة أو المشاركة والمفاعلة بين اثنين أو أكثر في مكان واحد(مكر، 2006، ص8)، فتحصيّل وجود أكثر من فرد في حيز جغرافي محدود تفاعل اجتماعي ينتهي بالضرورة في فترة من الزمن إلى تشكل قيم ومعايير، يشعر الإنسان من خلالها بانتمائه إليها، فالمواطنة انتماء وولاء لعقيدة ووطن وقيم ومبادئ والتزام من المواطن بتحمل مسؤولياته تجاه وطنه مقابل لحقوق التي يتمتع بها، فهي سلوك لقيم في حياة الفرد وفي ضميره فتصبح جزءاً من شخصيته وتكوينه(سفر وآخرون، 2000، ص89-90).

تنظيماً:

المواطنة من المفاهيم الحديثة نوعاً ما ارتبطت بالمنافسة التي فرضت البحث في آليات الرفع من التزامات العاملين وولاءاتهم، وهي امتداد للالتزام والهوية التنظيمي عرفه كل من Y. Liao Zhang و J & Zhao على أنه مجموعة التصرفات التي تهدف إلى تقديم المساعدة وظهور علامات سلوكية غير مطلوبة على المستوى الرسمي ولكنها تكون ذات فائدة للمؤسسة(Zhang, Y. Liao, J & Zhao, 2011, PP. 364-379).

ثقافياً:

يهتم البعد الثقافي بما يوفره الوطن من إحساس بالانتماء إلى جماعة تتمثل في الهوية وتتجسد هذه الهوية المشتركة فيما يجمع الفرد مع غيره، من ممارسات الحياة اليومية من عادات الأكل واللباس والموسيقى وطقوس

الأعياد والحفلات، كما أنها تتجسد في الرموز المشتركة لما يمثل الهوية الوطنية أو الهويات الجماعية المتعايشة في ظل الوطن الواحد.

قانونياً:

أبسط معاني المواطنة أن يكون الشخص عضواً في مجتمع سياسي معين أو دولة بعينها، تحت طائلة قانون موحد يخلق المساواة بين مواطنيها ويرسي نظاماً عاماً من حقوق وواجبات تسري على الجميع دون تفرقة، وعادة ما تكون رابط (الجنسية) معياراً أساساً في تحديد من هو المواطن (سامح، دس، ص9)، وتصبح الجنسية الباب الأساسي الذي من خلاله يكتب الفرد صفة المواطنة، وهي صفة لم تتعلق بالبعد الثقافي أو الموروث الحضاري أو حتى الأرض.

اقتصادياً:

تتمثل فكرة المواطنة على المستوى الاقتصادي فيما يوفره الوطن مما تسميه الكتابات الحقوقية شروط الحياة الكريمة والتي تعني سوسيولوجياً ظروف الانتماء الاجتماعي (المودن، 2007، ص2).

نفسياً:

من منظور نفسي المواطنة هي الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية. وبذلك فالمواطنة تشير إلى العلاقة مع الأرض والبلد (عياد، 2004، ص 11-12).

وبهذا فان للمواطنة وجود متفاوت في اغلب العلوم الاجتماعية، الأمر الذي أدى بهذا المصطلح الحديث النشأة أن يمتلك زحماً معرفياً هاماً ورمزية كوزموبوليتانية واسعة الانتشار والتشظي.

2- تأصل مفهوم المواطنة في الفكر السوسيولوجي من خلال جدلية الحقوق والواجبات:

موضوعاً الوطنية والمواطنة هي في الأصل عريقة عراقية وجود الإنسان على الأرض، ونمو والوطنية في حقيقتها عاطفة قديمة نشأت في صدر الإنسان منذ أن صار له منزل يقيم فيه ومرعي يسرح فيه مواشيه وارض يزرعها، والوطنية ارتباط وانتساب الفرد أو الجماعة إلى قطعة معينة من الأرض والتعلق بها وحب أهلها وأصحابها والحنين إليها عند التغرب عنها والاستعداد للدفاع عن كيانها ضد الإخطار التي تهددها (المعمري، 2002، ص217).

لقد أسهمت الحضارة الإنسانية القديمة حقيقة في بناء وإرساء قواعد المواطنة بين أفرادها من خلال إفرازات إيديولوجية سياسية انبثقت عنها، عملت على وضع أعمدة للحرية والمساواة تجاوزت إرادة الحكام وفاتحة بذلك أفقاً رحباً لسعي الإنسان لتأكيد فطرته وإثبات ذاته وحقه في المشاركة الفعالة في جميع مجالات الحياة . كما أن المواطنة ارتبطت في الفكر الإغريقي والروماني بضرورة الأخذ ببعض أسسها كالمنافسة من أجل تقلد المناصب العليا وإرساء أسس مناقشة العامة، وباعتبار ذلك شيئاً مطلوباً في حد ذاته (الكواري وآخرون، 2004، ص17).

3- سياقات المواطنة في ظل التطور التاريخي للمفهوم:

يستخدم مصطلح المواطنة اليوم للدلالة على مجموع الحقوق المادية والمعنوية الفردية والجماعية تتكفل الدولة بصيانتها وتمكين المواطنين منها في مقابل مجموعة من الواجبات يسدي بعضها المواطنون في شكل خدمات

تحت إشراف ومراقبة الأجهزة الإدارية للدولة. غير أن مفهوم المواطنة لم يوجد دفعة واحدة بل مر بعدة محطات عملت على الوصول به إلى المعنى الذي تأخذه المواطنة اليوم، فقد وصف ترنس مارشال Terence Marshall في مقال مشهور ظهر سنة 1949 الأبعاد المتتالية والتي انتشرت تدريجياً-حسبه- خلال القرنين الماضيين (Terence Marshall, 1949, p105).

- السياق المدني للمواطنة:

وهو المظهر الأول للمواطنة، ظهر خلال القرن السابع عشر وتسمى (المواطنة المدنية citoyenneté civile) تميزت بالعدالة والمساواة أمام القانون للأفراد، وكذلك الحق في الأمن وحرية الرأي والدين والتملك، ترجمت بالحضور المتساوي لكامل الأفراد أمام المحاكم والدفاع عن الامتيازات القانونية عند التهديد.

- السياق السياسي (المواطنة السياسية citoyenneté Politique):

بدأت هذه المرحلة بالتكريس التدريجي للانتخاب العام ورفع الحواجز أمام الجماعات (خصوصاً اليهود والكاثوليك) من المشاركة في الوظائف العامة، ترجمت بحق المواطنين في سن القوانين من خلال من ينوب عنهم والحصول بشكل متساوي على الوظائف العمومية، حرية الرأي والتحدث والكتابة وطباعة الآراء ونشرها.

- السياق الاجتماعي:

آخر مراحل المواطنة حسب مارشال بدأت بعد الاعتراف بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية في دائرة المؤسسة وعالم الشغل سنة 1945، ترجمت بحماية حق الضمان الاجتماعي وإنشاء مؤسسات مطابقة لحاجات التكوين (ولديب ، 2010، ص50).

4- تحديات المواطنة بالجزائر؛ بين تقليدية التصور وعالمية انسياب المضامين الثقافية

قبل البحث في الجدلية القديمة المتجددة (التقليدية والعالمية) للمواطنة، كان يجب إظهار ولو بنوع من الاختصار التطور التاريخي للمواطنة الجزائرية في دلالة منطقية على فهم واقع المواطنة اليوم، وتعدد التشخيص العلمي الدقيق لها في ضل تشابك أصول التشرب الفكري والثقافي للقيم والمعايير، خاصة بعد تحطم قلاع وحدة الإقليم الثقافي على يد التكنولوجيا العابرة للحدود والمجتمعات.

- المواطنة الجزائرية؛ سرد تاريخي لأهم محطات تكوينها

مم لا شك فيه أن المواطنة في الغرب الأوربي بدأت تتضح معالمها وتثبت أسسها بعد ثورات وهزات عظيمة، أفضت إلى الحدود الإقليمية للدول الأوربية المعروفة اليوم، فبين الانتقال على النظام الكنائسي والعرف القائم وكذلك أنظمة الحكم الوضعية، أي باختصار كل ما كان يمثل روافد الحكم آنذاك استلهمت هذه الدول إرهابات مواطنها الإقليمية وسُميت هذه الملاحم إصلاحات سياسية واجتماعية مغلفة بادعاء قيم الإنسانية والعصرية وحقوق الإنسان، واحتضنت ضمن حدودها الحديثة كتلاً اجتماعية متنوعة ومتمايزة في العرق والدين واللغة والراسب الثقافي، واستطاعت أن تخلق في نطاق المعطى السوسيوثقافي الخاص بها أنظمة وعقود تُسير بها الحياة اليومية لأفراد المجتمع في ظل مدنية قائمة على الأمن والحقوق والواجبات، أخذت فيما بعد اسم القوانين والدساتير الداعمة للمواطنة والمحافظة عليها، غير انه في الجزائر وكباقي الدول العربية التي رضخت لنير الاستعمار لعقود طويلة من الزمن دشنت محاولات إصلاحية سبابة في طريق تحصيل أوطان إقليمية بحدود ثابتة، اندرج ضمن هذه المعادلة محاولات فردية واجتماعية نظرية وتطبيقية قامت قصد إصلاح أحوال المواطنين

والتصدي للخطر الأجنبي الذي هدد المقومات، ولقد كانت هذه المحاولات سياسية واجتماعية من دون أن تمس أو تحرف النص الديني(خدايرية، دس، ص22)، وهنا يجب التأكيد على الفارق بين إصلاحات أوربا! وإصلاحات العرب في طريق بناء القومية الإقليمية، إذ أن إصلاحات العرب كانت ضد عدو أجنبي منع قيام الأمة ضمن مقوماتها الأصلية، في حين أصلح الأوروبيون أحوالهم ضد أبناء جلدتهم الذين استباحوا الأرض والعرض في تحالف مشين بين الإقطاع والكنيسة وعادات عملوا على ترسيخها في مخيال الأفراد قبل ترسيخها على أرض الواقع.

وموضوع قيام الأمة الجزائرية من الموضوعات التي أحيطت بعناية فائقة قبل الباحثين وأنه لا يمكن فهم هذا الموضوع إلا في ضوء التخصصات العلمية المتكاملة كعلم الاجتماع(خدايرية، دس، ص23)، وعلم النفس الاجتماعي والسياسي، والتاريخ وعلم السياسة والقانون ففي الاستعانة بهذه التخصصات فهم عميق للحركة الإصلاحية المتواضعة: هل كان الهدف من الفكر الإصلاحي الجزائري في التاريخ الحديث هو تأسيس نظام حكم بتأسيس دولة حديثة؟(خدايرية، دس، ص23) وما علاقة هذه المساهمات في تكوين فكرة المواطنة في الجزائر؟

إن الحديث عن دور الإصلاحيين في تكوين فكرة المواطنة الجزائرية يقودنا حتماً إلى الحديث عن أمثال الأمير عبد القادر الذي أسهم في تركه لتراث مكتوب ومنشآت حضارية ويكفي أنه أسس دولة جزائرية في التاريخ الحديث، وحمدان بن عثمان خوجة فقد كان له أكثر من دور إصلاحي وسياسي وعلمي، ودعا أهل الحل والعقد إلى اليقظة والأخذ بمعالم الحضارة خاصة في كتابه (المرأة) الذي ألفه سنة 1833، وكذلك الحسن بن عزوز فقد تقدم للسلطة الفرنسية بمشروع تضمن أربعة وعشرين نقطة تخص الجانب السياسي والاجتماعي لأجل إصلاح البلاد وأفرادها وأحمد بوضرية، محمود العنابي ومحمد بن أبي شنب (خدايرية، دس، ص23). ... وغيرهم في هذا الأمر كثير.

ولا يسعنا في هذا المقام سرد إسهامات الإصلاحيين الذين عملوا على بعث امة الجزائر ضمن مقوماتها الحضارية العربية والإسلامية في فترات زمنية متفاوتة ومتمايزة في التاريخ والجغرافيا قبل منتصف القرن العشرين. لقد أحدثت الثورة التحريرية بالجزائر في بعدها القومي مشروع مجتمع تضمن إلى جانب تحرير الشعب الجزائري فرز للهوية الجزائرية عن بقية الهويات الاستيطانية، ووحدت الصفوف وعملت على نزع فتيل العرقية قصد الوصول إلى تأسيس دولة جزائرية حرة وديمقراطية، ترجم انطلاقتها بيان أول نوفمبر، الذي تجسد بعد 1958 واكتملت ملامحها مع مظاهرات 1961 التي وحد عموم الشعب بأطيافه الفكرية والسياسية المتنوعة حتى في فرنسا نفسها، حين اجتمع النضال السياسي بالفكري العقدي في دلالة سوسيولوجية واضحة عن تكون امة حقيقة تعكس مواطنة جليلة لأفراد جمعهم راسب ثقافي وسياسي تاريخي واحد.

بعد الاستقلال تجسدت المواطنة من خلال ممارسات النظم الحاكمة في الجزائر والتي جسدت لدى المواطن مفهوم مبتدل عن المواطنة كحقوق ذات محتوى اقتصادي واجتماعي أساساً بعد أن عاش لفترة طويلة من الحرمان بسبب الظاهرة الاستعمارية. فأصبح يعتقد جازماً أن من حقه الحصول على منصب عمل ومدرسة لأبنائه وطبيب لمرضاه و... لأنه يعيش في دولة الاستقلال، دون أن يراعي دائماً مسألة الواجبات التي يتطلبها توفير مثل هذه الحقوق كما بينت ذلك دراسة مباركية(جابي، 2013)، الأمر الذي أثار سلباً على - عملية التسيير الاقتصادي ككل خاصة عندما تعلق الأمر بالقطاع الاقتصادي العمومي التابع للدولة الذي طور مع الوقت ما سمّيته في

إحدى الدراسات (المواطن العامل) عكس القطاع الخاص الذي أنتج (العامل المواطن) الأكثر مراعاة لواجباته. هذا البعد الاقتصادي الاجتماعي للمواطنة في الجزائر الذي دعمه الطابع الريعي للاقتصاد المبني على دخل المحروقات بالطبع وأدى إلى فشل كبير في التجربة التنموية التي اعتمدت على الدولة كفاعل اقتصادي (جابي، 2013).

هذا في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، أما عن المجال السياسي فلا يمكن فهم-حسب الجابي- أوجه القصور الكثيرة التي اعترت بروز مواطنة فعلية في الميادين السياسية على وجه الخصوص في الجزائر كذلك النقائص التي اعترت التمثيل السياسي وعدم جدية آلية الانتخابات في التعبير عن آراء المواطنين ومواقفهم، وصعوبة التمثيل السياسي عن طريق العمل الحزبي الذي احتكر لفترة طويلة من قبل حزب واحد 1988-1962 والكثير من الممارسات السياسية المعادية للنهوض بالمواطنة الفعلية لا يمكن فهم كل هذا إلا بالعودة إلى ذلك العقد الذي بنيت عليه مرحلة ما بعد الاستقلال بين السلطة الجديدة والمواطن الجزائري الذي كان مطلوبا منه التنازل عن الكثير من حقوقه السياسية في مقابل تمتعه ببعض الحقوق الاقتصادية والاجتماعية التي تم التركيز عليها كإحدى التجليات الأساسية للمواطنة الجماعية في الجزائر، عكس الحقوق السياسية التي تمت محاربتها والتقليل من شأنها باعتبارها حقوق فرد، وهو أنموذج كان اقرب لتجربة دول المعسكر الاشتراكي التي تبنت الجزائر الكثير مما يميزها من أحادية سياسية ودور اقتصادي للدولة وسياسة اجتماعية...الخ (جابي، 2013).

1- أزمة الحفاظ على المواطنة في عالم متغير

يعتبر الحفاظ على قيم المواطنة الأصيلة في الوقت الراهن مسألة معقدة يتداخل فيها الكثير من الأبعاد والتجاذبات، يجعلها عصية على لتحقيق ولو بالشكل الكامل، ولأن اهتزاز المواطنة لسبب أو آخر يفرز لنا مظاهر جديدة أو متجددة، فإننا سنتطرق إلى أهم مظاهر اهتزاز قيم المواطنة في الجزائر.

1- نبذ كل ما هو (جزائري):

من الأمور الفارقة في التاريخ المقتضب للدولة الجزائرية حديثة النشأة التغير الهام الذي أحدثته عقود قليلة من الزمن، فبعد الاستقلال وعند إحساس أفراد المجتمع الجزائري بالمأزق الذي وضع فيه الاستعمار حكومة الاستقلال من سحب موظفيه وموارده المالية وكامل منظوماته الاقتصادية والخدمية في توجه واضح لإسقاط الدولة الحديثة، استظهر الشعب الجزائري قيمه ومقوماته من رواسبه الوطنية والدينية، واستنفر كامل قدراته ومخدراته لمساعدة الحكومة، فحافظ على الدولة بحفاظه على مؤسساتها وهياكلها ومزارعها، وأنقذ الحكومة من خلال تحصيل مواردها المالية بآلية التبرع والتطوع وأشهرها (تليطون) الجزائري، فتشبت بالأرض واعتز بأصوله الثقافية وتاريخه النضالي، وتجلت المواطنة بأسمى معانيها، ضمانتها قدرة الدولة على التوازن رغم صور المأساة والتراجيديا الاجتماعية التي خلفها المستعمر، ونجاح مشروع (التسيير الذاتي للمؤسسات) الذي لم يكن ذو معايير قانونية ضابطة أو محددة لخطوط الحقوق والواجبات لدى العاملين، واستتب الأمن في أرقى صورته، فلم يشهد المجتمع الجزائري جرائم ترقى للتطرف والجريمة المنظمة، ولم يشهد حالات للانتحار والهجرة غير القانونية الناتجة عن التذمر وعدم الرضا، وشعر الأفراد بإنسانيتهم وبمواطنتهم الجزائرية، وأدوا واجبه اتجاه أمتهم وأكدوا على عمقهم العروبي والإسلامي بمشاركتهم حروبهم ومآسيهم، رغم تدني مستويات المعيشة وارتفاع معدلات الفقر والأمية وبقاء أعراض الاستعمار لمدة طويلة. لقد استلهمت المواطنة مفاصل قوتها من أمور عديدة أولها على

الإطلاق تموقع السلطة الحاكمة مع أفراد الشعب في خندق (جزائر العروبة والدين) وهو في الأصل تموقع للهوية والراسب الثقافي العروبي ولم يشعر بانفصال أو اغتراب عنها، والتقط نتيجة ذلك ما تلقنه له السلطة من أفكار وسياسات تلقى الابن عن أبيه، وأصبح منبر السلطة المنبر الوحيد والموثوق، منبراً لعبت فيه المنظومة التعليمية والتربوية والإعلامية دوراً هاماً في ترسيخ قيم المواطنة بما تراه وتطمح إليه المنظومة السياسية آنذاك. واليوم نحن أمام اهتزاز حقيقي تعرفه المواطنة الجزائرية، وانتشار شيوع التحول عن كل ما هو جزائري، وأصبحت (الجزارة) في مخيال المجتمع تعني الإفساد والاستهتار والاستصغار، وضُربت جميع المضامين الثقافية والاجتماعية، وتم التعدي على المقدس (الأسرة، الدين، المدرسة) واستبيحت الموارد والقيم، إفرزات أنتجت المنظومة السياسية والظروف الاقتصادية في فترة ما، الأمر الذي أنتج جيلاً لا يؤمن بأتمته ولا برواسبه وعمقه، لا يثق بمنابر السلطة الثقافية والإعلامية والتربوية حيث اعتبرها (الآخر)، فاخذ من غيرها واستورد أفكاراً ورؤى غربية وشرقية غريبة عن المجتمع الجزائري، فتعددت الولاءات وقيم المواطنة وانفجرت إلى العالمية تارة، وأصبح الولاء للتوجه الديني العالمي (الشيوعية، السلفية، الاخوانية...) أو تقلصت إلى حدود الطائفة (الاباضية) أو العرق (امازيغية)، وأصبح الكل يبحث عن مواطنة ذات بُعد آخر غير بعدها الأصيل بعد الشعور بفشل الدولة ومنظوماته وقصورها في تحقيق الأمن الاجتماعي وممارسة حقوقه. وكحصيلة منطقية لذلك اتجه غالب الجيل الشاب إلى ما وراء الحدود شرقاً وغرباً، والتأثر بما تفرزه حضاراتهم من مخرجات مادية ورمزية، في استشكال حقيقي يستدعي البحث والمتابعة، ويستتفر كل طاقات الدولة السلطوية والفكرية، خاصة عندما تعلق الأمر بحالة عامة من اليأس والإحباط والشعور بعدم الانتماء لهذه الجغرافيا وهذه الأمة، وسيطر في مخيال الجزائريين الشعور بنبذ واستصغار كل ما هو جزائري، ففي النكتة يُعتبر الجزائري مثلاً لكل ما ترفضه القيم والأخلاق (الكسل، اللصوصية، الغباء...) وفي الإنتاج يُعد المخرج الجزائري مثال للرداءة وعدم الإتيان والغش... الخ، وهذا الموصفات في بعدها السوسيولوجي دلالة صارخة لفقد المواطنة لكل مقوماتها وأسسها.

2- العزوف السياسي:

لعله من صميم إرساء قواعد المواطنة التأكيد على مبدأ المساواة والعدالة، ولا يكفي ضمانها في الدساتير والقوانين المسطرة، إذ لا يتجلى للمواطنة مبدأ إلا من خلال المشاركة الفعلية للمواطنين في الحياة العامة، الأمر الذي يتطلب توفر استعدادات حقيقية لدى كل الشركاء في المواطنة، استعدادات لا تقبل التجزؤ ونظام المستويات للحرية في حدود ضيقة نتيجة لظروف قمع الحريات ومصادرة الفكر المتحرر من التبعية والخنوع، وفي ظل الأنظمة التي تناهض العمل السياسي الذي يحمل رؤية انتقادية أو موقف معارض للحكام وللسياسات المتبعة؛ ففي مثل هذه الظروف التي تعرفها المجتمعات المتخلفة عموماً -ومنها البلاد العربية والإسلامية- يلاحظ انزواء كثير من الكفاءات و بروز الفردانية والابتعاد عن المشاركة في الحياة العامة والنفور من العمل السياسي وغير ذلك من الظواهر المناقضة للمواطنة، فالأنظمة القمعية ولو اختبأت وراء ديمقراطيات شكلية هي مسؤولة عن تقليص فرص المشاركة وتدمير قيم المواطنة حيث لا يتأتى نمو استعداد المواطنين للمشاركة في الحياة العامة إلا في ظل حرية الفكر والتعبير وحرية الانتماء والنشاط السياسي والنقابي والجمعي (كيسلاسي، 2006، ص 45)، وعندما تتاح الفرص المتكافئة للمشاركة أمام كل الكفاءات والطاقات يكون المجال مفتوحاً للتنافس النوعي الذي يضمن

فعالية النخب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويضفي الحيوية على المشهد الوطني، مما يساهم في خلق واقع ينشد التطور المتواصل والارتقاء المستمر.

والمشاركة بالمفهوم الواسع المبين أعلاه، تعني توفر فرص الانخراط التلقائي في مختلف مجالات الحياة العامة وحقوقها، ولذلك فهي تختلف عن الإشراك الذي ينطوي على مفهوم المنح من سلطة عليا تحكم بأمرها، لرعايا تابعين خاضعين لنفوذها، لأن الإشراك بهذا المعنى يتناقض مع مفهوم المواطنة ويتعارض مع مقوماتها. المحلي والوطني والمهني(جنكو، دس، ص37).

يعتبر العزوف المتنامي عن المشاركة السياسية في المواعيد الانتخابية الجزائرية موقفاً سياسياً يحمل رسائل ودلالات سياسية كبرى، هذه الظاهرة تزداد عند الشباب وسكان المدن والنساء والمتعلمين، تجد تفسيرها في فقدان الثقة في الانتخابات كوسيلة على التعبير عن الإرادة الشعبية وفي التغيير، هذا بالإضافة إلى تقديم صورة عن الانتخابات في جميع مراحلها ومستويات تحضيرها على أنها في الأساس عملية ترمي للإبقاء على نظام الحكم القائم (عبد الله، 1997، ص213)، فضلاً عن ضعف أداء البرلمان في الحياة السياسية، حيث لم يعبر عن اهتمام الرأي العام ولم يمارس الرقابة والمساءلة والمعارضة البرلمانية وسادت ظاهرة التغيب عن الجلسات، فشل النظام الحزبي بكل توجهات في أداء وظائفه نتيجة الأزمات والصراعات الداخلية التي عاشتها الأحزاب السياسية. بالإضافة إلى عوامل نفسية اجتماعية يعيشها المواطن الجزائري كالأحباط. الأمر الذي يُفسر عدم اعتراف الأفراد بأهمية المشاركة السياسية رغم ما لها من دور في تسيير أمور المجتمع وتحديد مصيره. وقد أكد الموند وزميله أن لكل نمط ثقافي علاقة مع بناء سياسي، ففي حين أن الثقافة الدعائية أو الضيقة ترتبط بالبناء الاجتماعي التقليدي غير المركزي، فإن ثقافة الخضوع السياسي ترتبط بالبناء السياسي التسلسلي المركزي، أما ثقافة المشاركة فإنها بكل وضوح ترتبط ببناء النظم السياسية الديمقراطية، حيث أن عملية المشاركة السياسية تعد عنصراً هاماً في إطار العملية الديمقراطية، إضافة إلى أنها عنصر من عناصر المواطنة(الطيب، 2007، ص186).

جدول إحصائي يبين السلوك الانتخابي لدى الجزائريين بالأرقام:

جدول(1) من إعداد الباحث يمثل تغير نسبة المشاركة في الانتخابات التشريعية بالجزائر

الانتخابات التشريعية (السنة)	نسبة المشاركة
01 جويلية 1961	91.88 %
10 سبتمبر 1963	82.71 %
20 نوفمبر 1976	92.91 %
26 ديسمبر 1991	59 %
نوفمبر 1995	75.69 %
تشريعات 2002	46.09 % (1)
تشريعات 2007	35.65 % (2)

3- ظاهرة الحرقه:

الحرقه تسمية تطلق على المهاجرين غير الشرعيين من المغرب العربي إنضاف إليهم الأفارقة من جنوب الصحراء الكبرى ثم لحق بهم العديد من المهاجرين من آسيا. إقدام الحرقه على الهجرة بقوارب بسيطة عادة راجع لقطع السبل بهم وصعوبة الحصول على عمل لائق وطول الانتظار، ما دفع بهم لحلول راديكالية. تبقى الأوضاع الاقتصادية الرديئة والبطالة هي السبب رقم واحد للجوء الشباب للحرقه (ويكيبيديا).

وهو من المصطلحات الحديثة التي ظهرت في السنين الأخيرة، ارتبط مفهومها بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتردية لبلدان العالم الثالث، حتى وان اتفقنا على هذه الأسباب إلا أننا لا يمكن أن نغفل البعد المواطناتي لقضية الحرقه، فالشعور بالعدالة والحقوق (جوهر الشعور بالمواطنة) يُعد رادعاً وحصناً منيعاً لسلوكات الغير سليمة للأفراد كالحرقه، إن التمسك بالأرض والواجب اتجاه الوطن (المجتمع) انعكاسات حقيقية ومخرجات أصيلة للمواطنة فقدما كثير من أفراد المجتمع الذين تتصلو منها واتجهوا نحو الحرقه في تفضيلهم إشباع حاجات بيولوجية على إظهار قيم المواطنة التي فقدت لديهم.

5- دور العلوم الاجتماعية في ترسيخ قيم المواطنة وتحسينها

مم لا شك فيه أن المواطنة تأخذ تمظهر القيم المكتسبة من خلال التنشئة الاجتماعية للأفراد، يتداخل فيها صنوف المحددات التربوية والتعليمية وأنوعها، في عملية تتكامل فيها جميع مصادر عملية التنشئة.

في خضم تعاطينا مع دور العلوم الاجتماعية في ترسيخ المواطنة فنحن بصدد تناولها كعلوم ارتبط وجودها ومعناها بالتنشئة الاجتماعية ارتباطاً جعل منها علوم الإنسان الصرفة أو علوم مختصة بالإنسان، والدلالة الرمزية هنا في جدلية الدور الذي تؤديه هذه العلوم للإنسان حياةً وفكراً ووجوداً. يعرف بعض المتخصصين في علم الاجتماع العلوم الاجتماعية بأنها النتاجات المعرفية لجهد الإنسان البشري في الميادين المعرفية الخاصة بالتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة والإنسان وعلم النفس وعلم الاجتماع (السكران، 1989، ص18). ومن هذا التعريف المقترض نقطف معنى واضح وجلي يرشد بنا إلى اعتبار العلوم الاجتماعية بحق علوم الإنسان.

تفرز العلوم الاجتماعية غيرها من العلوم أبحاثاً ودراسات، تنتشر حسب نوع العلم الاجتماعي المتخصص (تاريخي، نفسي، اقتصادي... الخ) تختص بتسمية الدراسات الاجتماعية، والتي في مفهومها دراسات تشتق من العلوم الاجتماعية، إلا أن لكل منها مجاله الذي يتخصص فيه الذي يمثل جانباً من حياة الإنسان على الأرض. فعلم الجغرافيا يبحث في علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية وما ينشأ بينهما من تفاعل بحيث يشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والتاريخية، أما علم التاريخ فهو سجل حافل بالإحداث على مر العصور والأزمان ويعبر عن علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية والاجتماعية في الماضي المتصل بالحاضر، بالإضافة إلى ذلك يوضح علم السياسة ببيئته الطبيعية والاجتماعية وما ينشأ عنها من أنظمة وحقوق وواجبات وأنماط السلوك الفردي والجمعي داخل نظام سياسي معين (عبد اللطيف، 2013، ص35).، ويعني علم الاقتصاد باحتياجات الإنسان المادية وتأثيرها على أوضاعه المعيشية التي تتبع التضخم والاستهلاك والنمو الاقتصادي والسياسات النقدية والمالية والإنتاج الزراعي والصناعي والتجاري. ويوصف علم الاجتماع بأنه علم المجتمع وذلك من حيث اهتماماته بدراسة الخصائص والوظائف المختلفة للمجتمع والجماعات مثل الأسر والمهن وأنماط العمل المختلفة ومجموعة القواعد التي تحكم العلاقات الاجتماعية بين هؤلاء الناس كأفراد وجماعات وفي رأي بعض

الباحثين يصعب التمييز بين علم الاجتماع وعلم الإنسان من حيث أن كلا العلمين يبحث في المجتمعات التي يعيش فيها الإنسان إلا أن علماء الإنسان اعتنوا بالحضارات المختلفة والمتطورة من خلال التأكيد على أنماط القرى وعلاقات الصداقة والقيم والمعتقدات التي تميز المجتمعات المعاصرة (السكران، 1989، ص18).

تمثل اغلب العلوم الاجتماعية - إضافة إلى علوم أخرى - مناهج للدراسة وتكوين الأفراد في مستويات عمرية مختلفة، لها من القدرة والخاصية على بناء وصقل الفكر المجتمعي وتوجيه أفراده إلى قيم ومعايير معينة، ما يجعلها مهمة ومنوطة بادوار جلية. أي أنها تعمل على تحقيق أهداف المجتمع في تربية أبنائه، وفي سبيل تحقيق الدراسات الاجتماعية لهذه المهمة الجلية على المعلم الدراسات الاجتماعية أن يتخذ الطرق والأساليب المناسبة (اللقاني، 1979، ص120).

إذ تعد الدراسات الاجتماعية من المواد الأساسية التي من الممكن أن تلعب دوراً مهماً في تنمية القيم عموماً وقيم المواطنة بالخصوص لدى التلاميذ في المراحل الدراسية المختلفة، ذلك إذا ما أحسن اختيار وصياغة أهدافها ومحتوياتها من ناحية تدريسها وتقويمها من ناحية أخرى. والتركيز على الفهم الحقيقي لمعنى وقيم المواطنة، وما تتضمنه من تعريف التلاميذ بحقوقهم وواجباتهم وإعدادهم ليكونوا مواطنين صالحين في المجتمع ، وذلك من خلال تضمين قيم المواطنة في المناهج الدراسية (Mcfarland, 2007, P18).

ومن هنا ظهرت اتجاهات تدعو إلى تضمين قيم المواطنة في مناهج الدراسة وتدريب الطلاب على ممارستها داخل المجتمع المدرسي مما يؤدي في النهاية إلى تقدم المجتمع وعصرنه الدولة أبو غريب عابدة: تطور مناهج التعليم لتنمية المواطنة في الألفية الثالثة لدى الطلاب المرحلة الثانوية (المؤتمر العالمي الأول تربية المواطنة ومناهج الدراسات الاجتماعية، 2008 ص14).

وقد لخص شارلس ميريام نتائج مسح استبائي أجري في ثمان دول غربية ، ولاحظ أنه في كل النظم التي تم تقييمها في هذه الدراسة تبرز المدرسة على إنها جوهر تعلم المواطنة والتربية الوطنية في المجتمع السياسي ، وأنها على الأرجح ستستمر بصورة متزايدة في أداء هذا الدور (Merriam , 1931 , p.27).

خاتمة:

رأخذت المواطنة في السياقات الفكرية مدلولات عديدة ومتنوعة، اختلفت باختلاف الفروع العلمية التي تناولتها. ورغم حداثة المفهوم إلا انه انتشر وتوزع على كامل مساح العلوم الاجتماعية، حيث أعتبر من الموضوعات التي استهوت العلماء في كامل مراحل التجدر والتأصل، ومن خلال سياقات تاريخية مفصلية (مدنية سياسية وثقافية) تم تجسيد مفهوم المواطنة الذي تعرف به اليوم.

ولأنها من الموضوعات ذات البعد القومي والمجتمعي، تم في هذه الدراسة النظرية تتبع مسارات المواطنة الجزائرية التاريخية في النشأة والتكوين ابتداءً من واضعي أسسها كالأمير عبد القادر والعنابي حطي تجسد ملامحها إبان الثورة التحريرية، ولاكتمال التمشير النهائي عملت الأنظمة المتتالية للدولة الجزائرية على تكريسها فكرياً وممارسةً من خلال غرس قيمها ومبادئها عن طريق آليات متعددة احتلت فيها مصادر التنشئة الاجتماعية مراتب متقدمة.

ولا شك في أن المظاهر ذات البعد اللامواطناتي كالعزوف السياسي وظاهرة الهجرة غير الشرعية والتي استفحلت في السنوات الأخيرة، وضعت منظومات الدولة وعلى رأسها العلوم الاجتماعية موضع اتهام في تقصيرها

عند أداء واجب حماية المواطنة وتحسينها، نظراً للدور الذي يمكن أن تلعبه في هذا المضمار من خلال العلاقة المتبادلة بين أركان الثلاث: العلوم الاجتماعية، التنشئة الاجتماعية، المواطنة.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

- ابن منظور، محمد. (1994). لسان العرب. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي .
- السكران، محمد. (1989). أساليب تدريس الاجتماعيات. ط1. عمان: درا الشروق .
- الصالح، مصلح. (1999). الشامل ؛ قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية. ط1. الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع .
- الطيب، مولود زايد. (2007). علم الاجتماع السياسي. ط1. بنغازي، ليبيا: دار الكتب الوطنية .
- العدناني، محمد. (1989). معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة. بيروت: مكتبة لبنان .
- الكواري، على خليفة وآخرون. (2004). الديمقراطية والتنمية الديمقراطية في الوطن العربي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- اللقاني، احمد. (1979). المواد الاجتماعية وتنمية التفكير . القاهرة: عالم التفكير .
- المودن، عبد الحي. (1-2، يونيو، 2007). مغاربة العالم، الانتماءات والمشاركة، مداخل مدممة إلى ملتقى رهان المواطنة، الرباط: المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان ..
- الموسوعة العربية العالمية. (1996). الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
- ثناء، فؤاد عبد الله. (1997). آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي، بيروت: مرآة دراسات الوحدة العربية .
- جنكو، علاء الدين عبد الرزاق. (دس). المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة، السليمانية، العراق: جامعة التنمية البشرية .
- سامح، فوزي. (دس). المواطنة. ط1. القاهرة: مركز القاهرة لدراسات وحقوق الإنسان .
- سفر، محمود وآخرون. (2000). الوطنية كائن هلامي. الرياض: وزارة المعارف. رونا للإعلام .
- عايدة، أبو غريب. (2008). تطور مناهج التعليم لتنمية المواطنة في الألفية الثالثة لدى الطلاب المرحلة الثانوية، مداخل مدممة إلى المؤتمر العالمي الأول تربية المواطنة ومناهج الدراسات الاجتماعية، مصر: جامعة عين شمس .
- عبد الحافظ، سعيد. (2008). حقوق وواجبات. القاهرة: مركز ماعت للدراسات الحقوقية والدستورية .
- عبيد، منى مكر. (2006). المواطنة مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة. (العدد 15)، القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية .
- عياد، هاني. (2004). المواطنة في التعليم. القاهرة: الهيئة القبطية للخدمات الاجتماعية، سلسلة إصدارات منتدى حوار الثقافات .
- كيسلاسي، ايريك. (الديمقراطية والمساواة). ط1. (ترجمة جهيدة لاوند). بغداد: معهد الدراسات الإستراتيجية .
- مان، ميشل. (1994). موسوعة العلوم الاجتماعية. تعريب عادل الهواري وسعد مصلوح. الكويت: مكتبة الفلاح .
- ولديب، سيدي محمد. (2010). الدولة وإشكالية المواطنة، قراءة في مفهوم المواطنة العربية. عمان: دار الكنوز المعرفة للنشر والتوزيع .

المراجع باللغة الأجنبية:

- Marshall, Terence. (1949). Citizenship and social class. Egland: Cambridge.
- Mcfarland, Mary A. (2007). citizenship social studies and the age of internet, social studies education . USA: culver city.
- Merriam, Charles E. (1931). The making of Citizens. Chicago: The University of Chicago press .

الرسائل وأطاريح الدكتوراه :

- المعمري، سيف بن ناصر. (2002). تقويم مقررات التربية الوطنية بالمرحلة الإعدادية بسلطنة عمان في ضوء خصائص المواطنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قابوس، عمان .
- خذايرية، ياسين. (2006). تصورات أساتذة الجامعة للمواطنة في المجتمع الجزائري، رسالة ماجستير غير منشورة، قسنطينة، الجزائر ،
- عبد اللطيف، إيمان عز الدين إبراهيم. (2013). القيم المترابطة بمفهوم المواطنة في منهاج المواد الاجتماعية للصف التاسع أساسي ومدى اكتساب الطلبة لها ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة .

المواقع الإلكترونية:

- ويكيبيديا.
- جابي، عبد الناصر. (1 جويلية 2013). تم الاطلاع 2016/11/11 على الساعة 15:50 [https://www.gulfpolicies.com/](https://www.gulfpolicies.com/attachments/article/1560) pdf.20%الدكتور 20%مقدمة جابي.